الملاهي واقترن بها اقتراناً شرعياً غير انهُ خشي من اهلهِ ان يسقطوهُ من شرفهِ لهذا الامر فسافر عنهم بغتةً ولم يُعلم عنهُ بعد ذلك شيءٌ . ولما تقرر خبر وفاتهِ سلَّمت الحكومة املاكهُ الى ابي ثم بعد وفاة والديَّ استوليت انا عليها وبقيت والدتك المسكينة في الحالة التي عرفتها من الفقر لانها لم تجد سبيلاً للمطالبة بحقوقها وقد اعتنت بك مدة سبع سنوات الى ان اتيت اليَّ وكان ما كان . وكانت لما ذهبتُ اليها يوم وصولك اليَّ قد سلمتني رزمة اوراقٍ تتضمن تاريخ وجودك لم يخطر لي النظر اليها الا اليوم ومن مطالعتها علمت ما اخبرتك اياهُ فانت يا البرتو ابن عمي وانت صاحب هذا القصر واملاكهِ الفسيحة لا انا فهل تقبلني في ضيافتك . وكان البرتو يدقق في فحص الاوراق وهو دامع الجفن ضيق الصدر فوثب على عنق ابن عمهِ يقبلهُ وتعانق الاثنان ملياً . ثم قال اتيليو اما الآن وقد اصبحتَ مثرياً فلا بدّ من اقترانك بمرغريت لانها هي قالت لي انكما تعاهدتما على الزواج وفضلاً عن ذلك فانها لا تحبني كما ذكرت لك فلم يبقَ وجهٌ لطلبي الاقتران بها وقد طبتُ نفساً لك عنها وانا اسأل الله لكما قراناً مباركاً وعيشاً سعيداً . واما انا فسأجتهد ان اسلوها الى ان يوفقني الله الى غيرها . قال البرتو قد رضيت بذلك لكن بشرطٍ واحد لا بد من اتمامهِ وهو ان تبقى انت في القصر يُعرف باسمك فتكون لنا اباً ونكون لك ابنين . فنهض اتيليو ثانيةً وعانق البرتو ثم اقترن البرتو بمرغريت ولم يزل اتيليو معهما اباً ومرشداً ومدبراً لاشغالهما وقضوا ما شاء الله من الدهر وهم على تمام السعادة والسرور

اليزيدية

هم الطائفة المشهورة وقد اختلف الناس في امرهم اختلافهم في كل جماعةٍ امرها مكتوم والمتعارَف أنهم فرقةٌ من الأُباضية أتباع يزيد بن ابي انيسة ومن مذهبهم ان الله سيبعث رسولاً من العجم ويُنزِل عليهِ كتاباً جملةً واحدة ينسخ بهِ شريعة القرآن

وجآء في معجم بولياي انهم طائفة من الاكراد منتشرون بين الموصل والخابور وجبال سنجار وفي نواحي بغداد وحلب وديار بكر وولاية أَرَوان الروسية وعددهم نحو مئتي الف نفس بعضهم رحّالة لا يدينون لحاكم وبعضهم مقيمون تجري عليهم احكام البلاد التي استوطنوها . وهم يقولون بمبدأين احدهما للخير وهو الله والآخر الشر وهو الشيطان الا انهم يقولون ان الشيطان سيعود الى السمآء . وصاحب مذهبهم هو يزيد ولهم بعدهُ مصلحٌ هو الشيخ هادي وهم يعظمونهما كثيراً . وقد اوقع بهم رشيد باشا سنة ١٨٣٤ بامر السلطان فأهلك منهم خلقاً لا يُحصَى . اه ببعض اختصار

وقال غيرهُم طائفةٌ بالجزيرة وكردستان يُعرَفون بمطفئي المصابيح وبعبدة الشيطان ودينهم خليطٌ من جميع المذاهب . وجآء في رسالةٍ لبعض السيّاح ممن طافوا في تلك النواحي ما يُثبِت مضمون هذا القول فذكر انهم يعبدون الشيطان ويتعصبون لهُ ويحنقون على من يسبّهُ من سائر الطوائف حتى ان من سبّهُ لا يأمن ان يقتلوهُ اذا مكنتهم الفرص . قال وهم يحتفلون لهُ كل سنةٍ بعيدٍ عظيم يحتشد اليهِ رجالهم ونسآؤهم وكبارهم وصغارهم فيجتمعون

ليلاً حول بئرٍ عميقة ينصبون عليها المشاعل العظيمة ويأخذون في قرع الطبول والصنوج والرقص والغناء وسائر ضروب اللهو والخلاعة ويوقدون عند فم البئر اجذالاً ضخمة من الحطب فاذا اشتعلت قذفوها في وسط البئر اكراماً للشيطان . ولا يزالون على مثل ذلك الى ان يطفأ آخر لهبٍ من المشاعل التي حول البئر وحينئذٍ يأتون من الافعال المنكرة مالا يفعلهُ الا الشيطان او من كان ملقنهُ الشيطان . اه

اما تفاصيل معتقدهم فقد وقفنا فيها على رسالةٍ في احدى المجلات الفرنسوية منقولة عن السريانية ومعها الاصل السرياني ايضاً وفي رأي مترجمها ان اصل وضعها بالعربية . والكلام فيها حكايةٌ عن لسان واحدٍ من هذه الفرقة ولعلهُ ممن صبأوا عنها الا ان الحديث فيها غير متتابع ولا متناسق وفي بعضهِ ما لا يجمل ذكرهُ ولذلك رأينا ان نأخذ زبدتها نطرف بها القرّاء لما فيها من الغرابة قال

يقول اليزيديون بوجود سبعة آلهة هبط احدهم الى الارض فخلق جهنم والفردوس ثم خلق آدم وحوّاء وجميع انواع الحيوان . ثم ان آدم ولد توأمين ذكراً وانثى في حديثٍ لا نذكرهُ وأثبت الله لهُ ثديين فارضعهما مدة سنتين ومنذ ذاك كان للرجل ثنْدُوَتان وهذان التوأمان هما اصل اليزيدية . وبعد ذلك تزوج آدم حوّاء فولد لهما توأمان آخران كان منهما سائر طوائف البشر وكان شيث واخنوخ ونوح وسائر الصلحاء من نسل آدم وحدهُ

ويقولون انهُ بعد طوفان نوح كان في الارض طوفانٌ آخر وانهُ لما ارتفع الفلك بنوح ومن معهُ ساقتهُ المياه حتى صار فوق جبل سنجار

فاصطدم هناك بصخر ناتئ فانثقب فترحّت الحيّة من داخل الفلك وسدّت الثقب بنفسها واستمرّ الفلك سائراً حتى استقرّ على جبل الجودي . ثم لما كثر نسل الحية وجعل يؤذي البشر امسكها نوح واحرقها بالنار فكانت من رمادها البراغيث وانتشرت في الارض . وقد مضى منذ الطوفان الى اليوم سبعة آلاف سنة وفي كل سنة كان ينزل واحدٌ من الآلهة السبعة المذكورين الى الارض فيضع احكاماً وشرائع ثم يعود الى مكانهِ . وكان آخر من نزل منهم يزيد الذي هو اله اليزيدية فجعل لهم رموزاً وسناجق[1] ثم ارتفع الى السمآء . وهو فيما روى هذا القائل يزيد بن معاوية وهو خلاف المتعارَف على ما تقدم الايمآء اليهِ وذكر لهُ قصةً غريبة محصلها ان معاوية كان رجلاً بربرياً وكان خادماً لمحمد نبي الاسمعيليين (عم) وان محمداً قال يوماً لمعاوية ان ذرّيتك سيكونون اعداءً لذرّيتي فقال وكيف يكون ذلك وانا لم اتزوج قط ولن اتزوج . ثم كان بعد ذلك ان الله سلّط على معاوية عقارب فلدغتهُ في وجههِ فقال لهُ الاطبآء انهُ لن يُشفى الا بأن يتزوج فزوجوهُ بامرأةٍ ذات ثمانين سنة فلما اصبحت اذا هي بنت خمس وعشرين فحملت وولدت يزيد

قال وقد كان خلق جهنم على عهد آدم الاول وفي نحو ذلك الزمن وُلد ابنهُ المسمى ابريق شعوتا فانتابتهُ الدمامل مدة ست سنين وكان في هذه المدة كلها يتوجع من عينهِ وانفهِ ويدهِ ورجلهِ وكان لديهِ ابريق فكان اذا

---

(١) جآء في الهامش الفرنسوي ما تعريبهُ . السنجق كلمة تركية معناها الراية ويطلقهُ اليزيدية على تمثال من الشبه بصورة الطاوس يرمزون بهِ الى الاله وقد يريدون بهِ المكان الذي يطوفون فيهِ بذلك التمثال

طفق يبكي من الالم تتساقط دموعهُ في ذلك الابريق حتى اتت على ذلك سبع سنواتٍ وامتلأ الابريق فصبَّهُ على نار جهنم فطفئت وأَمِن الناس حرَّها

وان كل واحدٍ من الآلهة السبعة عمل سنجقاً ولبثت هذه السناجق عند سليمان الحكيم فلما حضرتهُ الوفاة سلّمها الى واحدٍ من ملوك اليزيدية ولما وُلد بربرايا وهو احد آلهتهم جآءهم بها في ابهةٍ عظيمة ونظم لهم نشيدين ينشدونهما امامها باللسان الكردي مع قرع الطبول والصنوج والعزف بالمزامير والتراطن بينهم بكلماتٍ لا تُفهَم فيقولون هالَم هلّو الله الحفيظ . وهذه السناجق مودَعة اليوم عند امير شيكان المستوي على كرسيّ يزيد

وعندهم طبقةٌ يقال لهم القوّالون وهم مرتّبو الاحتفال وهؤلآء يجتمعون عند الشيخ الاكبر المسمى بالامير نائب الشيخ ناصر الدين الذي هو نسروخ اله الاشوريين الاولين ويحجّون الى السنجق ولهم اربعة سناجق يزورونها احدها في كَلَتْنيا والثاني في نواحي حلب والثالث في مسقوف والرابع في سنجار فاذا حجّوا الى احد هذه السناجق يحملونهُ ويطوفون بهِ لجباية الصدقات ثم ينقلبون بهِ الى الشيخ هادي [1] فيغسلونهُ هناك وهم ينشدون ويرقصون ثم يتناول كلٌّ منهم قبضةً من تراب الشيخ هادي فيدوفها بالمآء ويجعلها كتلةً بقدر جوزة العفص يحملها معهُ للتبرك ويتكسب بها . ومتى اقترب احد السناجق من احد البلدان بعثوا من يُشعر القوم بقدومهِ فيتأهبون

(١) الذي في الاصل السرياني الشيخ ادي وكذلك هو في النقل الفرنسوي ولعل لفظهُ الصحيح الشيخ عديّ الا انا رأَينا بولياي رواهُ بزيادة هآء في اولهِ كما اثبتناهُ فيما نقلنا عنهُ قريباً وهو الذي اعتمدناهُ في سائر المقالة توحيداً للتسمية

لاستقبالهِ والاحتفال بهِ ويخرجون بأسرهم فيسعون بين يديهِ وقد تزينوا بافضل ملابسهم وتطيبوا واقبلت النسآء تزغرد حتى ينتهوا الى بيتٍ يستقرّون فيهِ فتنهال عليهم العطايا من كل واحدٍ من السكان على قدر ما تسع ذات يدهِ

اما السناجق الثلاثة الاخرى فاثنان منها في الشيخ هادي والثالث في بلد الحسنية [1] وهم في كل اربعة اشهر يطوفون بواحدٍ منها على التعاقب وعند احتشادهم لاخذهِ يستصحبون قبضةً من السّماق لغسلهِ وشيئاً من زيت الزيتون والفتائل للايقاد لان لكلّ واحدٍ من هذه التماثيل حجراً يوضع عليهِ وخادماً يُدخِل تحت كل حجرٍ فتيلةً يوقدها

ثم ان السنة عندهم تبتدئ في شهر نيسان فيتعين عليهم انهُ في آخر يوم اربعآء من السنة يكون في كل بيتٍ لحم فالاغنيآء يذبحون الغنم والبقر والفقرآء يذبحون الدجاج ونحوها ويطبخونها في ليلة الاربعآء وفي الصباح يقدّسون اطعمتهم ويتصدقون عن انفس موتاهم وتخرج النسآء والبنات فيطفنَ في الجبال يجنينَ الورد وسائر انواع الزهر الاحمر ويجعلنهُ ضمائم يضعنها في مكانٍ رطب من البيت وفي صباح العيد تكون جميع ابواب المنازل مزينةً بالنَوْر الاحمر وتحمل النسآء الطعام فيضعنهُ على القبور ويأتي القوّالون فيقرعون الصنوج وينشدون على القبور باللسان الكردي ويطوف المعوّذون حول القبور يتلون العزائم لطرد الارواح الخبيثة . وفي ذلك اليوم يجلس الله على كرسيهِ ويجمع اليهِ الانبيآء والمقرَّبين ويقول لهم اني نازلٌ الى الارض بين الهتاف والنشيد ثم ينزل هو والذين معهُ فيقررون

(١) كذا فيما ظنهُ المترجم صحة هذا اللفظ والذي في الاصل السرياني حزانه

حوادث تلك السنة بعد ان يؤيدهُ الاله الاعظم ويبسط يدهُ لعمل كل ما يشآء

ومن طبقات اهل الدين عندهم طبقة الكوجاك وهم وَهَفة مقام الشيخ هادي وللكوجاك صلةٌ مع الارواح السماوية فهم يصرفون عنهم غضب الله . وهم في كل يوم جمعة يجبون صدقاتٍ لرمزهم فيقف مناديهم على سطح منزل الكوجاك وينادي ثلاثاً اليوم مائدة الرمز الفلاني فيصيخون باجمعهم لندآئهِ ثم يقبّل كلٌّ منهم الارض او الحجر الذي يكون بجانبهِ وكذلك يفعلون عند كل شروق شمسٍ او غروبها وعند طلوع القمر ومغيبهِ . وعند الكوجاك كتبٌ يزعمون انها تنبئهم بكل ما كان منذ وجود الانسان وقبلهُ الى اليوم الحاضر الا انهم قلما يتفقون على الاحوال المستقبلة فكلُّ فريقٍ منهم يفنّد زعم الآخر وهم يعتقدون بالرؤى وينبئون بالمغيبات

ويزعم اليزيديون ان الشيخ شمس الدين احد اولياآئهم هو المسيح ويقولون انهم لم يخلوا قطُّ من الانبيآء يعنون بهم الكوجاك وان احد اولئك الانبيآء اخبر عن نفسهِ بانهُ كان في فلك يونان عند ما أُلقي في البحر وان آخر كان يتعشى مع الله فاستشارهُ في ارسال المسيح فاشار عليهِ ان يفعل فنزل المسيح الى الارض بعد ما اجرى آيةً في الشمس وارشد جماعة اليزيديين الى سبعة كنوز هي اليوم مودَعة في مقام الشيخ هادي

اما سائر عوائدهم الدينية فانهم عند عقد الزواج يأتون برغيف من بيت المعوّذ فيقسمونهُ شطرين يدفعون الى كلٍّ من العروسين شطراً منهما فيا كلانهِ وان لم يكن ثمَّ معوّذ اعتاضوا عن الرغيف باسفافهما شيئاً من تراب الشيخ هادي . والزواج محرّمٌ عندهم في شهر نيسان لانهُ راس

السنة الاَّ على الكوجاك فانهم يتزوجون اي حينٍ شآءوا . ولا يتزوج احدٌ منهم من غير طبقتهِ ما خلا الامرآء فانهم يتزوجون من تعجبهم من النسآء من اي طبقةٍ كانت . والزواج عندهم من سن العشرين الى الثمانين ولهم ان يجمعوا بين ست نسوة والبنت لا ترث من ابيها وهو يبيعها ويأكل ثمنها وان كانت لا تريد الزواج تعيَّن عليها ان ترضيهُ من تعب يديها . وهم يشربون في العرس الجعة والخمر ما خلا الكوجاك ولهم رقصٌ قبيح يشترك فيهِ الرجال والنسآء . وقبل ان يذهبوا بالخطيبة الى بيت الخطيب عليها ان تزور جميع مقامات الرموز حتى كنيسة النصارى اذا اتفق ان تكون في طريقها ومتى دخلت بيت الخطيب ضربها بشلالة اي بحجر صغير اشعاراً لها بسلطتهِ عليها ثم يكسرون رغيفاً من الخبز على رأسها رمزاً الى ما يجب ان تفعلهُ من مؤاساة الفقرآء . ويحرُم الزواج في ليلتي الاربعآء والجمعة

وعند موت احدهم يجب ان يكون الكوجاك بجانبهِ وان لم يكن وضعوا في فيهِ شيئاً من تراب الشيخ هادي وقبل ان يدفنوهُ يدهنون وجههُ بزيت ويضعون على قبرهِ شيئاً من بعر الغنم . وهم يحملون طعاماً الى موتاهم ويزين جماعة الكوجاك القبور ويقرأون عليها ويسهرون ويجمجمون باحلامٍ ورُؤًى ثم ينبئون اهل الميت بما حدث لهُ بعد الموت وعلى اي حالٍ وفي اي شكلٍ سيعود الى هذا العالم . وذلك انهم يذهبون الى التناسخ فمن مات شريراً انتقلت نفسهُ الى جسم كلبٍ او خنزير او حمار او غير ذلك فتلبث فيهِ الى ان تستوفي عقابها ثم تعود فتحلّ في جسم انسان ولذلك فمنهم من يخبأ المال تحت الارض ليأخذهُ عند عودتهِ في المرّة الثانية او الثالثة .

واما انفس الصلحآء فتسكن في الهوآء وتنبئ باسرار الكون ومغيبات القضآء

هذا ما اخترنا اثباتهُ من هذه الرسالة بعد نبذ التافه منها وما لا دخل لهُ في غرضها مع جمع ما تشتت من معانيها وضم الشبيه الى شبيههِ طرداً لنسقها وتسهيلاً لتناول جملتها فسبحان من حارت في ادراك كنههِ عقول عبادهِ وهو الهادي من يشآء الى سوآء السبيل

عمدة الصفوة في حلّ القهوة

(تتمة ما في الاجزآء السابقة)

والى هنا كانت عبارة المحضر بحروفهِ عدا الذي حُذف منهُ اختصاراً من تراجم الامير والقضاة وغيرهم ومن ذكر جماعةٍ ممن حضر المجلس . واما نقل صورة كتابتهم فكتب قاضي القضاة صلاح الدين بن ظهير الشافعيّ الحمد لله وتوكلت عليهِ الامر كما شُرح وبُيّن ونُقّح . وكتب القاضي عبد الغني بن ابي بكر المرشديّ الحنفيّ احمد الله وافوّض امري الى الله الامر كما شُرح من مراجعتي في داري بسبب عذرٍ شرعي وقد قامت البينة عندي بما ثبت من امر القهوة وحرمتها المشروحة فيهِ اللهمّ اهدنا الصواب . وكتب القاضي نجم الدين بن عبد الوهاب بن يعقوب المالكيّ الحمد لله العادل في قضآئهِ ربّنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون والطف بنا في كل حركةٍ وسكون ونعوذ بالله من قبول الزور والتعاطي بحُرَم الله واسباب الفجور وقد شهد عندي جماعةٌ من الاعيان ذوي المعرفة والاتقان بافسادها للابدان وبين ذلك غاية البيان والامر كما شُرح فيهِ من غير

شيءٍ ينافيهِ . ولا حاجة الى نقل صورة كتابة الباقين لما في ذلك من التطويل من غير فائدة اذ ليس فيها غير الموافقة على مضمونهِ بنآءً على الصفات المشروحة فيهِ التي لا حقيقة لها . على أن اكثرهم كانوا عارفين بحقيقة الحال بل من شرّاب القهوة المواظبين عليها ولم يكن لهم غرضٌ في الكتابة وانما كتبوا اتقآءً لخش الامير لانهُ كان متعصباً في المسئلة جدًّا لاغرآئهم لهُ على ذلك وتقريرهم عندهُ ان لهُ في منعها فخراً عظيماً وثواباً جزيلاً وكان مع ذلك سفيه اللسان جريئاً على القضاة وغيرهم من الاعيان . وقويت بسبب ذلك شوكة المتعصبين في الباطل ولم يستطع احدٌ ان يثبت للبحث منهم غير الشيخ نور الدين بن ناصر الشافعيّ مفتي مكة ومدرّسها وواعظها فانهُ تصدّى لهم ولكنهُ سمع ما لا يحبّ بل كفّرهُ بعض اهل المجلس من اجل كلامٍ صدر منهُ في أثنآء البحث ثم لم يقنعوا بذلك حتى عرّضوا بهِ في السؤال الذي كتبوهُ الى مصر ووصفوهُ ظلماً باقبح الصفات

واما السؤال المجهز صحبة المحضر للديار المصرية فهذه صورتهُ . ما قولكم رضي الله عنكم في مشروبٍ يقال لهُ القهوة قد شاع شربهُ بمكة وغيرها وصاروا يتعاطونهُ بالمسجد الحرام وغيرهِ ويدار بينهم بكأسٍ من اناءٍ آخر وقد اخبر من تاب عنهُ بان كثيرهُ يؤدي الى السكر واخبر عدول الاطبآء بانهُ مضرٌّ للابدان وقد منع من شربهِ من يُعتدّ بهِ من العلمآء والزهّاد بمكة . وهناك جاهلٌ جعل نفسهُ واعظاً وافتى الفسّاق بحلّ شربهِ فقيل لهُ ما تقول في هذه الادارة على هذه الصفة فقال الشارع ادارة اللبن (كذا) فقيل لهُ اخطأت لم تكن ادارة اللبن على هذه الصورة . فهل يحلّ شربهُ على